التأثير المتبادل بين الإنسان والبيئة: مفهوم التصميم العامي وعلاقتة بالإستدامة في الفراغ الداخلي.

Mutual influence between Human and Environment: the concept of Vernacular Design and Its Relation to Sustainability in Interior Space

أ.م.د/ مها محمود إبراهيم

أستاذ مساعد بقسم التصميم الداخلي والأثاث - كلية الفنون التطبيقية – جامعة حلوان – القاهرة.

Assist. Prof. Dr. Maha Mahmoud Ibrahim

Assistant Professor, Department of Interior Design & Furniture, Faculty of Applied Arts, Helwan University, Cairo.

Drmaha.ibrahim@gmail.com

الملخص:

على مر التاريخ، اتجهت البشرية إلى تقوية علاقاتها مع الطبيعة من أجل الحفاظ على استمرارية وجودها. ويمكن فهم ذلك بشكل غريزي في محاولة الوفاء بالإحتياجات الأساسية للإنسان من المصادر الطبيعية. وانعكس ذلك ايضاً على العلوم التى تعنى بالعلاقة بين الإنسان والبيئة والتأثيرات المتبادلة بينهما. ومن هنا برز مفهوم التصميم المحب للطبيعة (البيوفيلي) كأحد الإتجاهات الحديثة في مجال التصميم والذي يعنى بالعلاقة بين الإنسان والبيئة المبنية، ويهدف إلى تحسين صحة الأفراد داخل الفراغات الداخلية ووضع التصميم على صلة بالتاريخ والثقافة الخاصة بالمجتمع.

ويحمل التصميم البيوفيلي بعدين مهمين لتحقيقه، من أهمهما هو بعد التصميم العامي أو التصميم القائم على الوقت والمكان، وهو مصطلح يشير إلى المنتجات أو المساحات التي يتقاطع فيها الثقافة، البيئة، والتاريخ ليخلق معنى للمكان. التصميم العامي هو ايضاً مصطلح مقترن بالعمارة العامية ونتاج لوعي متزايد بأهميتها في الآونة الأخيرة. فالعمارة العامية هي عمارة تعكس الظروف البيئية، الثقافية والسياق التاريخي الذي وجدت به. وعلى الرغم من ارتباطها بالتقاليد، فإنه يمكن اعتبارها فن حديث النشاط، لأنها توفر بدائل للممارسات المعمارية الحالية التي هي مسألة نقاش بالنسبة لأزمة الطاقة والإستدامة، كما أنها أصبحت مدعاة للفضول والإهتمام الإثنوغرافى المعماري.

لقد اتضح من خلال الدراسة المطروحة بالبحث أن التصميم العامي له علاقة قوية بالإستدامة لأنه لا يستنفذ الموارد المحلية، ويفهم البيئة المحيطة بالإنسان ويقوي علاقته بها، كما أنه يحترم البعد التاريخي والإنساني للمجتمعات. لذلك سوف يتم إلقاء الضوء على مفهوم التصميم العامي في هذا البحث ورصده وتحليل عملياته الإبداعية والإنتاجية في العمارة العامية من خلال فرضية أن تطبيق مبادئ وسمات التصميم العامي، قد تقدم مساهمات مهمة في مجال التصميم الرسمي في الفراغات الداخلية لتصبح نقطة انطلاق لإنتاج تصاميم أكثر التزامًا بالثقافة والعادات المحلية لشعبها وتحقق مبادئ الإستدامة الشاملة.

الكلمات المفتاحية: *الإستدامة، التصميم المحب للطبيعة، العمارة العامية، الإحساس بالمكان.*

Absrtact

Throughout history, humankind has tended to strengthen its relations with nature in order to maintain its continuity. This can be instinctively understood in trying to meet the main human needs from natural resources. This was also reflected in the sciences that deal with the relationship between man and the environment and the mutual influences between them. Thus, the concept of Biophilic Design has emerged as one of the modern trends in design, which deals with the relationship between man and the built environment.

It aims to improve the health of individuals within the interior spaces and to develop the design in relation to the history and culture of the society. The biophilic design has two important dimensions to achieve. The most important of these is vernacular design or time-and-place-based design, a term that refers to products or areas where culture, environment and history intersect to create meaning for the place. Vernacular design is also a term associated with vernacular architecture and a result of increasing awareness of its importance recently. Vernacular architecture is an architecture that reflects the environmental, cultural and historical contexts in which it was found. Although it is related to tradition, it can be regarded as a modern concept; it provides alternatives to current architectural practices that are a matter of debate for the energy crisis and sustainability

Through the study, it turned out that vernacular design has a strong relation to sustainability because it does not consume local resources; it understands the environment surrounding the human being, strengthens its relationship with it, and respects the historical and human dimension of societies. Therefore, the concept of vernacular design in this research will be highlighted and analyzed its creative and productive processes in vernacular architecture through the assumption that the application of principles and features of the vernacular design present an important contributions in the field of formal design in the interior spaces to become the starting point for the production of designs More committed to the local culture and tradition of its people and achieving the principles of sustainability

Keywords*: Sustainability, Biophilic design, Vernacular Architecture, Sense of Place.*

أهمية البحث:

مع تزايد الإهتمام بالإنسان والبيئة والتأثير المتبادل بينهما، ظهر مفهوم الإستدامة وعلت الأصوات لضرورة تطبيقيها في مختلف المجالات، ولكن مع إخفاق استمراريتها لعدم تطبيقيها بشكل شامل، تظهر أهمية البحث في محاولة الوصول الى الإستدامة الشاملة في الفراغات الداخلية وعلاقتها بالعمارة العامية ومبادئ التصميم العامي.

مشكلة البحث:

1- قصور في تطبيق مفهوم الإستدامة الشاملة من خلال إغفال الجانب المعنوي والثقافي لدى الإنسان عند تطبيق مبادئ الإستدامة في العمارة والتصميم الداخلي.

2- الإنسياق وراء التيارات والمفاهيم الحداثية في مجال التصميم وتجاهل البعد التاريخي والإنساني للمجتمعات مما أنتج تصاميم غريبة مشوهة بدون هوية مكانية.

أهداف البحث:

1- تحديد سمات ومبادئ التصميم العامي من خلال دراسة العمارة العامية.

2- الوصول الى الإستدامة الشاملة في الفراغات الداخلية عبر تطبيق مبادئ التصميم العامي.

3- إبراز أهمية جانب الإحساس بالمكان والتأكيد على احترام البعد التاريخي والثقافى للمجتمعات وأثر ذلك في تعميق الصلة بين الإنسان وبيئته.

فروض البحث:

1- إن دراسة سمات التصميم العامي، وتحليل عملياتها الإبداعية والإنتاجية في العمارة العامية، قد تقدم مساهمات مهمة في مجال التصميم الرسمي في الفراغات الداخلية.

2- إن تطبيق مبادئ التصميم العامي يسهم في تحقيق الإستدامة الشاملة في الفراغ الداخلي، وتأكيد الهوية الثقافية للإنسان وربطه ببيئته.

منهجية البحث:

1- المنهج الوصفي التحليلي من خلال مراجعة الأدبيات الخاصة بمفهوم الإستدامة الشاملة، ورصد وتحليل سمات العمارة العامية

2- المنهج الإستقرائي من خلال التوصل الى مبادئ التصميم العامي وعلاقته بالإستدامة في الفراغ الداخلي.

مقدمة:

من الناحية التاريخية، بنى الإنسان الملاجئ من المواد المتاحة محليًا والتي تعكس البيئة الإقليمية التى يعيش بها؛ فكان الشكل والوظيفة لهذه المباني ما هو الا استجابة للطبوغرافيا والمناخ البيئي، والتى تُعرف منذ قديم الأزل بالعمارة العامية. فالمباني التي تم تصميمها وفقًا لثقافة المجتمع ونمط الحياة والظروف المادية والمناخية لهذه المجتمعات هي عامية. وبالرغم من بساطة هذه المباني إلا أنها استطاعت أن تؤسس علاقة منسجمة بين البيئة والعمارة والإنسان. ومن الملفت للنظر أنها ترتبط ايضاً بمبادئ مفهوم الإستدامة والذي يعتبر مطلباً أساسياً اليوم يجب تحقيقه على مختلف الأصعدة وبشكل خاص في البيئة المبنية. فالهدف المشترك للتصميم المستدام والعمارة العامية هو إنتاج منشآت صديقة للبيئة متوافقة مع الظروف المحيطة والتي يمكن أن تستمر لسنوات عديدة. مؤخراً، ظهرت العمارة العامية كجزء من المراجع البديلة المتاحة لمعالجة المشاكل البيئية الحالية (9).

إن الإهتمام المتزايد بتحقيق مبادئ الإستدامة واستمراريتها صاحبه تطور في توجهات الإستدامة بحيث شملت العلاقة بين الإنسان والبيئه والتأثير المتبادل بينهما. هذا يعنى ليس فقط الإهتمام بتأثير الإنسان على البيئة وإنما ايضاً التأثير الإيجابي للبيئة على الانسان مادياً ومعنوياً. ومن هنا برز اتجاه التصميم المحب للطبيعة (البيوفيل يBiophilic Design) كبعد مهم لتحقيق الإستدامة. فهو مصطلح حديث يبحث في كيفية تقديم إطار عام للعلاقة بين الإنسان والبيئة، ويهدف إلى تحسين صحة الأفراد داخل البيئة المبنية ووضع التصميم على اتساق بالتاريخ والثقافة الخاصة بالمجتمع.

ويحمل التصميم البيوفيلي بعداً مهماً يتعلق بالتوجهات الجديدة للإستدامة ألا وهو بعد التصميم العامي أو التصميم القائم على الوقت والمكان. وهو مفهوم مشتق من سمات وملامح العمارة العامية ويشير إلى المنتجات أو المساحات التي يتقاطع فيها الثقافة، البيئة والتاريخ ليخلق معنى للمكان (7).

لذا سوف تقوم الورقة البحثية من خلال الإطار النظري للبحث بدراسة توجهات الاستدامة الشاملة وكيفية تحقيقها وعلاقة ذلك بالعمارة العامية ومن ثم التوصل الى مبادئ للتصميم العامي يمكن تطبيقها على الفراغات الداخلية المختلفة لضمان الوصول إلى المفهوم الأشمل للإستدامة واستمرارية تحقيقها في مجال التصميم الداخلي.

لقد تحققت فوائد العمارة العامية طوال الجزء الأكبر من التاريخ، وتضاءلت خلال العصر الحديث، وهي تحقق الآن عودة بين العمارة والمصممين من أجل التقدم في مستقبل العمارة والتصميم المستدام والتواصل البناء بين الإنسان والبيئة (2).

1- الإستدامة والتصميم المستدام:

لقد توجه اهتمام مفهوم الإستدامة في بداية نشأته بشكل أساسي بالمحافظة على الطاقات والموارد الطبيعية وتحفيز الإنسان لتجنب الإضرار بالبيئة، ولكنه أخفق في تشخيص الخصائص المؤثرة على صحة الإنسان ورفاهته في بيئة السكن والعمل، فضلاً عن إخفاقه في تشخيص الحاجات الأساسية للإنسان في الإتصال بالطبيعة على جميع المستويات المادية والعاطفية والذهنية وكذلك الروحية.

لقد أفرزت توجهات الإستدامة أنماطاً تصميمية زادت من إغتراب الإنسان وعزله عن الإتصال النافع مع البيئة الطبيعية. لذا بدأت توجهات التصميم المستدام في الأونة الأخيرة تتجه نحو الإهتمام بالبعد ال إنسانيHumane Dimension

(ذي القيم الجوهرية والقيم النوعية للحياة). وبالتالي توسيع نطاق التوجهات لتشمل جوهر الإنسان في معادلة الصحة البيئية، والإلتفات الى العلاقة بين تأثير البيئة المبنية على صحة ورفاه الإنسان الذهني والبدني، وانتاجيته المرهونة بنوعية وكمية التجربة المتواصلة مع الطبيعة (3).

كان نتيجة هذه التوجهات الواعية تطوير في مفهموم الإستدامة ليصبح أكثر شمولية ويضم جميع الجوانب من تقليل الأثار السلبية على البيئة وتقليل الأثار السلبية على صحة الإنسان وتعزيز الأثار الإيجابية عليه.

1-1مفهوم الإستدامة:

مصطلح الإستدامة هو مصطلح بيئى يصف كيف تبقى النظم الحيوية متنوعة ومنتجة مع مرور الوقت، ويعني ايضاً القدرة على حفظ نوعية الحياة التي يعيشها الإنسان على المدى الطويل من خلال الحفاظ على العالم الطبيعي والإستخدام المسئول للموارد الطبيعية ومراعاة حقوق الأجيال القادمة.

ويستعمل مصطلح العمارة المستدامة لغرض وصف الحركة المرتبطة بالتصميم المعماري ذي الإهتمام بكل ما يتعلق بالبيئة، وتصف العمارة المستديمة الحقيقية القائلة بأننا نحصل على ما نحتاج من الكون وهذا الإدراك يجبرنا على الإستجابة مع الإهتمام والتنظيم في إستعمال تلك الموارد. أما بالنسبة للتعريف الإجرائي لمفهوم الإستدامة في العمارة:

هو الحفاظ على الأنظمة الإيكولوجية والإقتصادية والإجتماعية المشكلة للبيئة الحضرية وهي عملية تتضمن التعامل مع الموارد والتوجه التقني للتطوير بصورة متناغمة ومتوافقة مع الإحتياجات الحالية والمستقبلية للإنسانية (5).

2-1 أبعاد الإستدامة:

تتضمن الإستدامة أبعاداً متداخلة ترتكز عليها لتحقيقها وهي: الأبعاد البيئية والإقتصادية والإجتماعية، ولكن كما ذكرت سابقاً هذه الأبعاد فقط لا تفي بشمولية الإستدامة وبالتالي تم إضافة بعداً آخر خاص بالجانب الثقافي، وأنه بتحقيق هذه الأبعاد يمكن ضمان إستمرارية مفهوم الإستدامة والوصول إلى مجتمع مستدام. وهذه الأبعاد هي:

1- البعد البيئي: ويدعو إلى الحفاظ على الطبيعة بصورة رئيسية وضمان نظام بيئي سليم.

2- البعد الإقتصادي: ويدعو إلى تحسين الكفاءة من خلال إستخدام أقل للطاقة وبالتالي خفض التكاليف الإقتصادية.

3- البعد الإجتماعي: وهو يعني بالمجتمع والإنسان وتوفير وسائل الراحة والتأكيد على الحفاظ على الهوية والتراث وتحقيق العدالة الإجتماعية (3).

4- البعد الثقافي: وهو يهتم بدور الثقافة في المجتمع وأنها ليست مقتصرة على الفنون والتراث فقط إنما تشمل مجموعة كاملة من المميزات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمع أو مجموعة إجتماعية.

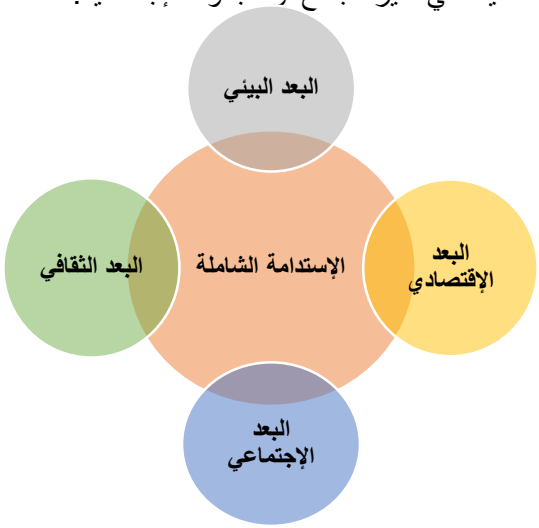

شكل (1)
الأبعاد الرئيسية للإستدامة الشاملة للوصول الى مجتمع مستدام

1-3 التصميم المستدام:

وهو جزء من فلسفة الإستدامة إذ يمثل تصميم الأشياء المادية المتعلقة بكل ما يمس الإنسان من مباني وتخطيط عمراني وخدمات ومنتجات لتتوافق مع مبادئ الإستدامة الإجتماعية والإقتصادية والبيئية والثقافية.

وبعيداً عن "القضاء على الأثر البيئي السلبي"، فالتصميم المستدام في مجال التصميم الداخلي يجب أن يبتكر تصميمات تحقق توازن ديناميكي بين الإقتصاد والمجتمع، ويهدف إلى توليد علاقات طويلة الأمد بين المستخدم والخدمة وأخيرًا أن يكون محترمًا ومراعيًا للإختلافات البيئية والإجتماعية (3).

1-4 مبادئ التصميم المستدام:

بالرغم من اختلاف مجالات تطبيق التصميم المستدام إلا أنه هناك عدداً من المبادئ الشائعة الخاصة بمجال التصميم الداخلي على النحو التالي:

1- اقتصاد الموارد: وهو بدوره يتعامل مع الموارد الطبيعية كمدخلات للتصميم من خلال الإختزال والتخفيض وإعادة الإستخدام والتدوير، والتى تتطلب القليل من الطاقة وتحافظ على الماء وعلى المواد.

2- دورة الحياة: وهو يعني بتحليل دورة الحياة للمنتجات وتأثيرها على البيئة فأي منتج مثلاً له دوره حياه تشمل أربعة مراحل هي: التصميم - التنفيذ – التشغيل والصيانة - ثم التخلص والإستبدال.

3- الجانب الإنساني: وهو يعني بتحسين نوعية الحياة للإنسان فضلاً عن نوعية الحياة للأحياء الأخرى للتوازن الإيكولوجي وتصميم الراحة البشرية من خلال تحسين بيئة المنزل والعمل مما يؤدى الى زيادة في الانتاجية وتأثير إيجابي على صحة الإنسان (5).

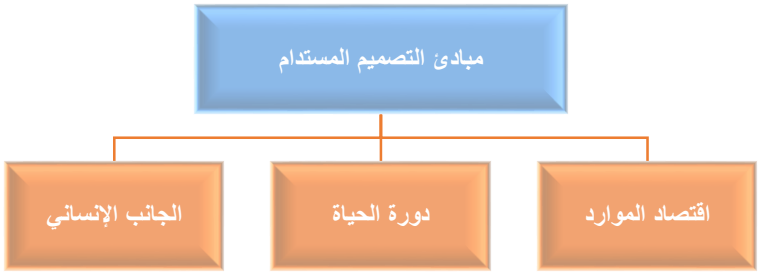

شكل (2)
الأبعاد الرئيسية للتصميم المستدام

1-5 توجهات التصميم المستدام:

كما ذكر أنفاً أن مفهوم الإستدامة تتطور ليشمل جوانب عديدة تخص البيئة والإنسان على حد سواء للوصول إلى الإستدامة الشاملة ولضمان إستمراريتها وتحويل المجتمع إلى مجتمع مستدام، وعلى ذلك يمكن حصر توجهات التصميم المستدام في ثلاثة توجهات متكاملة (5) يوضحها الشكل التالي:

شكل (3) التوجهات الرئيسية الثلاث للتصميم المستدام

ولقد تناولت دراسات عديدة التوجه الأول والثاني بشكل مستفيض ولكن نظراً لأهمية التوجه الثالث والذي يتم إغفاله في تطبيق مفهوم الإستدامة، سوف يتم التركيز على هذا التوجه والذي يعني بتأثير البيئة على صحة ورفاه الإنسان من خلال التعرض لمفهوم التصميم المحب للطبيعة وما يحمله من أبعاد تخص العلاقة بين الإنسان والبيئة، وعلاقة ذلك بتحقيق الإستدامة الشاملة.

2-1 التصميم المحب للطبيعة ((Biophilic Design:

من خلال ميل الإنسان للإتصال بالطبيعة والقرب منها ظهر مفهوم التصميم المحب للطبيعة أو التصميم البيوفيلي، فهناك تقارب إنساني متأصل نحو الإنتساب الى النظم والعمليات الطبيعية في تصميم البيئة المبنية. ولقد تم إستخدام هذا المصطلح في الثمانينات من قبل عالم الأحياء الأمريكي إدوارد ويلسون (Edward Wilson) ادراكاً لحاجة البشر للإتصال بالطبيعة، مضيفاً "إن الحياة من حولنا تتفوق في التعقيد والجمال عن أي شيء آخر تواجهه الإنسانية"(7).

إذ تعد البيئات التي تتميز بملامح المواطن الطبيعية هي المفضلة لدى البشر وهي الخطوة المنطقية التالية لحركة التصميم الخضراء. إذ يمكن أن يتم تصميم مبنى مستدام يفي بجميع معايير LEED ولكنه يتجاهل الحاجة الإنسانية العميقة للإتصال مع الطبيعة، إذ يجب أن يعمل على خلق مساحات كفوء في إستخدام الطاقة فضلاً عن المعالم الطبيعية التي تساعد الناس على الشعور بالراحة والإلهام والشعور بالحياة في البيئات الداخلية المختلفة.

1-2-1 أبعاد التصميم المحب للطبيعة (البيوفيلي):

هناك بعدان للتصميم المحب للطبيعية: البعد العضوي (Organic)، والبعد العامي (Vernacular) اللذان يمكن تعزيزهما من قبل عدد من عناصر التصميم مثل الإضاءة الطبيعية والتهوية الطبيعية والمواد الطبيعية، والأشكال والنماذج التي تحاكي النظم والعمليات الطبيعية، والزخرفة التي تعكس المعالم الطبيعية ومناظر وآفاق الطبيعة، وغيرها. وهي يمكن تحديدها من الأشكال والنماذج المبنية في البيئة والتي تثير التقارب البيولوجي الثقافي في الإنسان للعملية الطبيعية والتنوع بصورة مباشرة، أو غير مباشرة أو بصورة رمزية وتعالج الحاجة الإنسانية الفطرية للإتصال بالطبيعة بشتى الطرق (12).

ويعمل التصميم المحب للطبيعة على التأكيد عل البعد العامي Vernacular في التصميم من خلال:

1- العمل على دمج بيئات الأجداد والبيئات التراثية مع البيئات الحالية العصرية.

2- تجنب نزعات التصميم التي تقوض البيئة والثقافة أو مايطلق عليها ظاهرة الامكان.

أما بالنسبة للتأكيد عل البعد العضوي Organic في التصميم يتم من خلال:

1- محاكاه الأنماط والأشكال الطبيعية بصورة رمزية.

- استخدام المواد الطبيعة والأشكال والنماذج الطبيعية (10).

شكل (4) ممكن تطبيق الاتصال مع الطبيعة وأنماط التصميم biophilic، الأخرى في جميع المناخات والبيئات ولكن قد يكون لها أشكال وجماليات ومواد مختلفة خاصة بكل منطقة.

ولكن في هذا البحث فإن البعد العامي Vernacular هو محور إهتمام وتركيز، نظراً لما يعنيه إرتباط التصميم بالمكان من تاثير إيجابي على الإنسان وعلى البيئة على حد سواء. لذا سيتم إلقاء الضوء في الفقرة التالية على مفهوم التصميم المرتبط بالوقت و المكان من خلال دراسة و رصد مظاهر العمارة العامية و من ثم التوصل إلى مبادئ التصميم العامي.

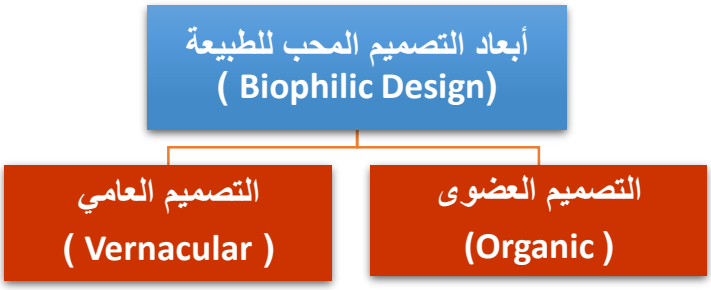

شكل (5)
أبعاد التصميم المحب للطبيعة (البيوفيلي)

2- العمارة العامية:

في الواقع البيئة المبنية هي أكثر من ملجأ ولها أهداف مختلفة: إيواء الإنسان والممتلكات من المناخ والحيوانات والقوى الخارقة، لخلق مكان إنساني آمن في عالم خطير، كذلك للإستقرار في مكان وعمل علاقات اجتماعية به. في الحقيقة تعتبر العوامل الإجتماعية والثقافية في المعنى الأعم هي أكثر أهمية من المناخ، والتكنولوجيا، والمواد، والإقتصاد (6).

كانت العمارة العاميه تعتبر منتقده بشكل كبير في كل أنحاء العالم لأسباب إقتصادية وإجتماعيه، حيث يقترن الإسم في الأذهان بالتدهور الحضاري. أما اليوم اختلفت النظره العالمية للعمارة العامية حيث باتت تعرف كطراز معماري غني جداً بالعديد من التقنيات المتميزه والتي استخدمت في وقت مبكر من الزمان.

في هذا السياق سوف ينظر إلى العمارة العامية في هذا الجزء من البحث، كيف يمكن أن تخبرنا عن التفاعل بين الإنسان والبيئة، وتفهمنا كيف يمكن الإستفادة منها لتحقيق مفهوم الإستدامة. ومن ثم إستخدام التصميم العامي كنقطة انطلاق للتعامل مع المشاكل البيئية الأكثر عمومية والتي بدورها ستكون مصدر إلهام للحركة المستدامة الحديثة.

1-2 المفهوم والإصطلاح:

الهندسة المعمارية العامية (التقليدية، البدائية، الشعبية، الأصلية، الريفية، المحلية، التلقائية، العمارة دون معماريين، أو عمارة دون نسب) هي المصطلح المستخدم في الهندسة المعمارية المبنية على مبادئ التقاليد التي تم عزلها في منطقة جغرافية أو ثقافية. إن مفهوم العمارة العامية ليس ثورياً، ومع ذلك رغم أنة قد يبدو تعبيراً جديداً، فإن شأنه شأن العديد من هذه المصطلحات المرادفة قد تبدو وكأنها تُشير إلى عمارة فريدة وغريبة تُشيد في مملكات بعيدة عن الحضارة.

العمارة العامية إسم لا ينطبق حصراً على العمارة التاريخية ولا على الغير غربية أو على الريفية. فهناك بالفعل ميدان دراسي هام يُسمى العمارة العامية الأمريكية" American vernacular"، الذي يمسح ويصنف المساكن في المناطق الريفية، والمناطق الحضرية والضواحي في الولايات المتحدة (16).

ومع ذلك، كتب ألن نوبل Alan Noble نقاشًا مطولًا لهذه المصطلحات في المباني التقليدية " دراسة استقصائية شاملة عن الأشكال الهيكلية والوظائف الثقافية " حيث يقدم آراء علمية بأن البناء الشعبي (العامي) أو العمارة الشعبية مبنية على "أشخاص غير مدربين مهنياً في بناء الفنون"؛ حيث يتم بناء العمارة العامية من الأشخاص العاديين ولكن قد يتم بناؤها من قبل مهنيين مدربين مع إستخدام التصميمات والمواد التقليدية المحلية. أما الهندسة المعمارية التقليدية هي الهندسة التي تنتقل من شخص لآخر، جيل إلى جيل على أي مستوى من مستويات المجتمع، وليس فقط من قبل عامة الناس. لا يشجع نوبل على إستخدام مصطلح الهندسة المعمارية البدائية كمرادف للعمارة العامية باعتبار أن لها دلالة سلبية. وقد يستخدم مصطلح العمارة الشعبية أكثر كمرادف للعمارة العامية في أوروبا الشرقية (14).

قال بول اوليفرPaul Oliver في كتابه "المنازل" (Dwellings) "حتى الآن لا يوجد تعريف واضح للعمارة العامية، ولكن من المحتمل أن تكون العلم الذي يجمع بين الهندسة المعمارية وعلم الإنسان وعلاقتة مع التاريخ والجغرافيا ". ولكنه يجادل بأن العمارة العامية، نظراً للرؤى التي تقدمها في قضايا التكيف البيئي، ستكون ضرورية في المستقبل "لضمان الإستدامة من الناحيتين الثقافية والإقتصادية ". كما قام ايضاً بعمل أكثر دقة وهو موسوعة العمارة العامية في العالم الذي حرره بول أوليفر من معهد أكسفورد للتنمية المستدامة في عام 1997. والذي يعرف العمارة العامية كما يلي:

" تتألف من المساكن وجميع المباني الأخرى للشعب. فيما يتعلق بسياقاتها البيئية ومواردها المتاحة، فإنها عادة ما تكون مبنية بواسطة المالك أو المجتمع، وباستخدام التقنيات التقليدية. ويتم تصميم جميع أشكال العمارة المحلية للوفاء بالإحتياجات الخاصة، وإستيعاب القيم والإقتصاديات وأساليب الحياة للثقافات التي تنتجها" (2).

كما حدد رونالد برونسكيل التعريف النهائي للعمارة العامية كما يلي:

" مبنى صممه هواة دون أي تدريب في التصميم؛ سوف يسترشد الفرد بسلسلة من الإتفاقيات التي تم بناؤها في منطقته، مع إيلاء القليل من الإهتمام لما قد يكون من المألوف. ستكون وظيفة المبنى هي العامل المسيطر، والإعتبارات الجمالية، على الرغم من وجودها إلى حد ما بدرجة صغيرة، إلا أنها ضئيلة للغاية. سيتم إستخدام المواد المحلية كأمر طبيعي، حيث يتم إختيار المواد الأخرى واستيرادها بشكل استثنائي "(17)

فالعمارة العامية هي مفهوم شعبي واسع لمجالات الدراسة المعمارية والتي تشمل العمارة الأصلية والسكان الأصليين والأجداد والريفيين والعرقيين، ويتناقض مع الهندسة المعمارية الأكثر عموميةً التي تسمى الهندسة الأدبية أو الرسمية.

إن مصطلح عامية في الهندسة المعمارية، يشير إلى هذا النوع من الهندسة المعمارية التي تكون محلية لوقت أو مكان معين (غير مستوردة أو منسوخة من مكان آخر) (7).

إذاً فالعمارة العامية (Vernacular architecture): هو مصطلح يتم إستخدامه لتصنيف أساليب العمارة والبناء التي تستخدم الموارد المتاحة محلياً لتلبية الإحتياجات وعكس التقاليد المحلية. وهي تميل إلى التطور مع مرور الوقت لتعكس الظروف البيئية، الثقافية والسياق التاريخي الذي وجدت به. وغالباً ما رفضت باعتبارها خامة وغير مكررة، لكن لها مؤيدين يدعون إلى أهميتها في التصميم الحالي (8).

شكل (6)
نماذج من العمارة العامية في مناطق مختلفة من العالم

2-2 التأثيرات على العمارة العامية:

تتأثر العمارة العامية بمجموعة كبيرة من الجوانب المختلفة للسلوك البشري مع البيئة، مما يؤدي إلى اختلاف أشكال البناء لكل سياق مختلف تقريبًا؛ حتى القرى المجاورة قد تكون لها مقاربات مختلفة فتكون مختلفة سواءاً في البناء أو في الإستخدام لفراغات المسكن بالرغم من أن كل مبنى يخضع لنفس قوانين الفيزياء.

2-2-1 مناخ

واحد من التأثيرات الأكثر أهمية على العمارة العامية هو المناخ الكلي للمنطقة التي يتم فيها تشييد المبنى. مثلاً تتمتع المباني في المناخات الباردة بكتل حرارية عالية أو كميات كبيرة من العزل لمنع فقدان الحرارة، وتكون الفتحات مثل النوافذ تميل إلى أن تكون صغيرة أو غير موجودة. على النقيض من ذلك، فإن المباني في المناخ الدافئ تميل إلى أن تكون مبنية من مواد أخف وتسمح بتهوية شديدة عبر الفتحات في نسيج المبنى (9).

كما تتخذ المباني أشكالاً مختلفة تبعًا لمستويات هطول الأمطار في المنطقة، مما يؤدي إلى بناء المساكن على الركائز في العديد من المناطق مع الفيضانات المتكررة أو مواسم الأمطار الموسمية. كذلك استخدام الأسطح المنبسطة نادرة في المناطق ذات مستويات الأمطار المرتفعة. وبالمثل، ستؤدي المناطق ذات الرياح العاتية إلى إنشاء مبانٍ متخصصة قادرة على التعامل معها، وسيتم توجيه أسطح المباني إلى الحد الأدنى لمساحة الرياح السائدة (17).

التأثيرات المناخية على العمارة المحلية كبيرة ويمكن أن تكون معقدة للغاية. وغالباً ما تشتمل الأبنية في البحر الأبيض المتوسط، ومعظم دول الشرق الأوسط على فناء به نافورة أو بركة. يتم تبريد الهواء بواسطة رذاذ الماء ويتم سحب التبخر من خلال المبنى عن طريق التهوية الطبيعية. وبالمثل غالباً ما تحتوي الأبنية العامية في "شمال أفريقيا" على كتلة حرارية عالية جداً ونوافذ صغيرة للحفاظ على برودة الفراغ الداخلي، وفي كثير من الحالات تحتوي أيضًا على المداخن ليست لمواقد النار، ولكن لجذب الهواء الى الفراغات الداخلية. لم يتم تصميم مثل هذه النماذج عن طريق تخطيط علمي مسبق إنما من خلال التجربة والخطأ لأجيال عديدة، وكثيراً ما سبقت بكثير من الوقت النظريات العلمية القائمة حالياً التي تفسرآلية هذه التجارب (16).

شكل (7)
نماذج من المنازل العامية في سومرطة –أندونيسيا والتى يتوائم تصميمها مع المناخ السائد هناك

2-2-2 البيئة والخامات

يتم تعريف العوامل المادية للبيئة من خلال المواد المتاحة والتكنولوجيا والتضاريس والخصائص المناخية للمكان، وعلى هذا النحو، فالبيئة المحلية ومواد البناء المتوفرة، تحكم العديد من جوانب العمارة العامية. فالمناطق الغنية بالأشجار ستطور عمارة خشبية، في حين أن المناطق التي لا تحتوي على الكثير من الأخشاب قد تستخدم الطين أو الحجر. أما في الشرق الأقصى فمن الشائع استخدام الخيزران، لأنه متوفر ومتنوع. وعلى ذلك تكون الخامات المتاحة، واختيار مواد البناء ذات الصلة بمكونات البيئة تقدم استجابة في شكل المبنى بالتوافق مع البيئة الموجود بها (8).

شكل (8)
العلاقة بين الخامة والشكل في البيئات المختلفة

2-2-3 الثقافة

إن طريقة حياة شاغلي المبنى وطريقة إستخدامهم لها تأثير كبير على شكل البناء. فحجم الأسرة، التي تسكن في نفس المساحات، كيفية إعدادهم للطعام وتناوله، وكيفية تفاعلهم مع الناس والعديد من الإعتبارات الثقافية الأخرى سوف تؤثر على تخطيط وحجم المساكن. للثقافة أيضًا تأثيرًا كبيرًا على مظهر المباني العامية، حيث غالبًا ما يزين السكان المباني وفقًا للعادات والمعتقدات المحلية ومع مرور الوقت، قد تعكس العمارة السكنية موقعًا جغرافيًا محددًا ومميزاً للغاية (18).

فعلى سبيل المثال نجد أنه بالرغم من بساطة البيئة في جنوب افريقيا الا أنها انتجت فن عفوى وجميل ناتج عن التأثر بالطبيعة والأرض، حيث استطاعت المرأة الإفريقية إنتاج تراث ثقافى وفني بسيط، وذلك من خلال الرسم على حوائط البيوت وزخرفتها مما أنتجت طابعاً مميزاً للمباني في هذه المنطقة.

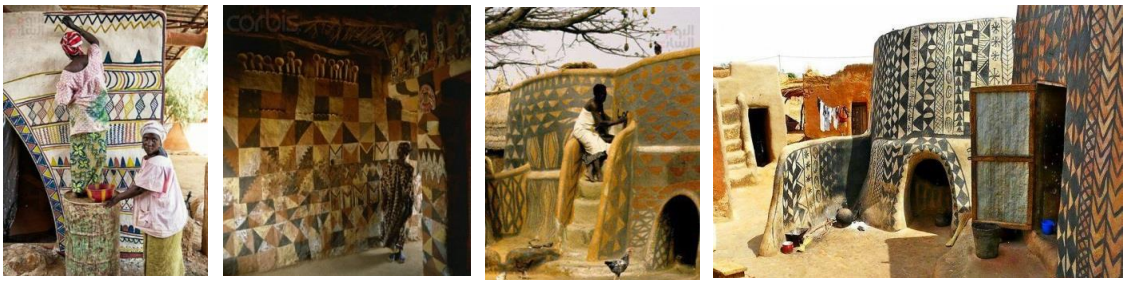

شكل (9) نماذج من منازل في جنوب افريقيا تعكس الثقافة المميزة للمكان في أسلوب التخطيط وزخرفة الواجهة

3-2 سمات العمارة العامية:

يمكن اعتبار المبنى كمساحة مادية تعزز وعي الإنسان. لا يتم إنشاء المباني لتحتوى على العناصر المكانية التي تفي بالإحتياجات المادية للأفراد فحسب، بل يستجيب أيضاً لاحتياجاتهم الإجتماعية والثقافية والعاطفية.

في العمارة العامية، يقوم المستخدم بالتصميم والبناء في نفس الوقت. وعلاوة على ذلك، يقوم ايضاً بتكييف عمليات التصميم القابلة للإستمرار والجاهزة مع حياته في بيئته الخاصة التي يقوم بتطويرها وفقًا لإحتياجاته. الإحتياجات في منظور العمارة العامية لا تسبق الإهتمامات الجمالية ايضاً. فالتشكيلات العامية بسيطة وسهلة الفهم ويمكن دمجها بسهولة مع الطبيعة. دائماً ما يتم تشكيل وتصميم البناء من خلال معايير مختلفة مثل المواد المحلية والحقائق الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، المناخ والبيئة الطبيعية، أو إنعكاس للأحداث في الذاكرة الإجتماعية.

ايضاً المتانة والتنوع هي من السمات الهامة للهندسة المعمارية العامية. فالهدف الأساسي في العمارة العامية هو إنتاج مبانٍ سهلة وعملية. ولهذا السبب، من المنطقي اختيار مواد البناء من البيئة المحيطة، وبالتالي أصبحت كل منطقة لها سمة خاصة بها تميزها عن غيرها (15).

شكل (10)

سمات وملامح العمارة العامية

3-تحقيق مبادئ الإستدامة الشاملة في الفراغ الداخلي من خلال التصميم العامي:

يمثل التراث العامي مورداً عظيماً يتمتع بإمكانات كبيرة لتحديد مبادئ التصميم المستدام. فمن خلال التعرف على السمات المستدامة في العمارة العامية وإستخلاص ملامح التصميم العامي يمكن الوصول إلى مبادئ عامة للتصميم العامي يمكن تطبيقها في الفراغات الداخلية المختلفة ومن ثم تكون نقطة إنطلاق لإدخالها في عملية التصميم الرسمي.

1-3 السمات المستدامة للعمارة العامية:

من خلال ما سبق اتضح أن المباني العامية تقدم في جميع أنحاء العالم أمثلة مفيدة للحلول المستدامة لمشاكل البناء. فالعمارة العامية البدائية أساسها هو نجاح التعامل مع البيئة المحيطة والمواد المحلية وتحقيق رغبات وتطلعات المجتمعات المحلية واحتياجاتها (13).

إن العمارة العامية لها علاقة قوية بالإستدامة لأنها لا تستنفذ الموارد، كما أن المباني العامية لا يمكن ادراكها أبداً بدون فهم البيئة المحيطة. حيث أنها تراعي المقياس الإنساني كما أنه أحيانًا تكون طريقة وأسلوب البناء أكثر أهمية من المنتج النهائي للمبنى. وبالتالي فإنها تعكس المواد، الخامات والتقنيات المحلية التي توائم المناخ المنشأة فيه وكذلك أسلوب ونمط حياة المجتمع.

لذلك عندما تتم مقارنة خصائص العمارة العامية ومعايير التصميم المستدام، من الواضح أن هناك قيم مشتركة من حيث معايير التصميم. في العمارة العامية، يميل المستخدم الذي قام بتصميم المبنى الخاص به إلى تلبية جميع إحتياجاته من خلال إستخدام الفرص والإمكانيات التي توفرها الطبيعة. يحاول المصمم / المُنشئ / المستخدم إزالة كل تفصيل يمكن أن يؤثر سلبًا على حياته. وكنتيجة طبيعية لهذه العملية، تتضمن المباني العامية قيم مفهوم الإستدامة اليوم (15).

حيث تمثل العمارة العامية إستجابة مورفولوجية لكل من القيود البيئية والقيود المناخية، فضلاً عن الخصائص الإجتماعية والإقتصادية والثقافية للمجتمعات. بالإضافة إلى ذلك، فإن المواد والمكونات المعمارية المستخدمة هي مستجيبة للمناخ ومصممة خصيصًا وفقًا لموقع كل مبنى، ولذلك يتم تكييفها مع الخصائص الجغرافية والطوبوغرافية، فضلاً عن الخصائص التاريخية. . . علاوة على ذلك، فهي عبارة عن بنية فعالة من حيث التكلفة، من الناحية الإقتصادية، والاكتفاء الذاتي فيما يتعلق بالموارد والطبيعية، مع تأثير بيئي منخفض، وبالتالي مع مدخلات مستدامة.

كذلك تلتزم العمارة العامية بالمبادئ المعمارية الخضراء الأساسية لكفاءة الطاقة واستخدام المواد على مقربة من الموقع. حيث تستفيد هذه الهياكل من المعرفة المحلية لكيفية تصميم المباني بشكل فعال وكذلك كيفية الإستفادة من البيئة المحلية (8).

وبشكل عام المباني العامية تراعي مبادئ الإستدامة من حيث:

1. المناخ.
2. الديانة.
3. المجتمع.
4. الطبيعة الجعرافية.
5. الإعتبارات الإجتماعية والإقتصادية.
6. الثقافة
7. البيئة والمواد المحلية.
8. تقنيات البناء.

2-3 التصميم العامي:

كما ذكرت سابقاً، البعد الثاني للتصميم المحب للطبيعة (البيوفيلي) هو التصميم العامي، المعروف أيضاً بإسم بعد المكان. إنه بعد يعزز العلاقة بين البيئة المبنية وثقافة أو بيئة تلك المنطقة المحددة، ويتضمن السمات التي تعمل على إبراز روح المكان، مع التركيز على ما تعنيه البيئة المبنية للناس وكيف أنها جزء لا يتجزأ من هويتهم. ويشمل التصميم العامي مفاهيم مهمة: العلاقات القائمة على المكان والعلاقة بين الإنسان والطبيعة (7).

اذاً السمة الأساسية التى يحملها التصميم العامي هو تعزيز مشاعر الإتصال بالمكان والطبيعة. نتيجة لذلك، غالباً ما تكون المباني التي تحقق هذا غالية وعزيزة جيلاً بعد جيل لأنها تتحدى وحدانية الإنسان وتزود بدلاً من ذلك شعوراً بالحب والإنتماء مما يزيد من الأثر الإيجابي على المستخدم والراحة في البيئة المبنية، وبالتالي يؤدي إلى الصحة والرفاه كما في العمارة العامية. فالتصميم العامي كمفهوم ارتبط بالعمارة العامية من خلال فهم سماتها واسهاماتها في مجال تحقيق الإستدامة الشاملة.

ويعرف التصميم العامي على انه: هو أي تصميم عفوي أنتج على حافة التصميم السائد، وهو تصميم قائم على الإحتياجات والمواد والتقاليد المحلية للشعوب وهذا ما يعطي المكان شخصيته وهويته الثقافية. إنه فن يحوى الذكاء الواعى لمتطلبات الحياة الإنسانية وبعيداً عن القيود والقوانين المنظمة للتصميم الرسمي الحديث وتجاهله للبيئات الشعبية والبعد التاريخي والإنساني للشعوب. وبالرغم من أن التصميم العامى يميل إلى الإرتباط بالأساليب التقليدية، إلا أنه يعتبر مفهوم حديث للتصميم، لأنه يوفر بدائل للممارسات التصميمية الحالية والتي تتجاهل مشاكل الطاقة والإستدامة وتأثير البيئة على الإنسان. فالتصاميم ذات الصلة ثقافياً تعزز الإرتباط بالمكان وتعطى احساساً بأن البيئة ذات هوية إنسانية مميزة وغالبًا ما تحفّز الناس على الحفاظ عليها وبالتالي إستمرارية إستدامتها (14).

3-2-1 العلاقات القائمة على المكان

إننا لابد وأن نتفهم كثيراً لقضية الأبعاد المكانية والزمانية للعمارة العامية والتراث العمراني ومدى انعكاساتها على المجتمعات فالعمارة كأحد الفنون البشرية الملهمة ليس من المفترض أن تكون عصوراً مستقلة متقطعة كأجزاء مختلفة بل لابد وأن تكون ذات إمتداد طبيعي من خلال البيئة المحيطة والمجتمعات ويؤسس لها من خلالهما ويحترم فيها أبعاد المكان والزمان. غالباً ما تنعكس الرغبة الإنسانية في أن تكون مرتبطة ثقافيًا بالبيئة المحيطة بها في بنية متناغمة، وهي تصنيف يمكن تحديده في منطقة معينة. هذه الوجوه الاجتماعية للعمارة موجودة في مادة، أو مخطط ألوان، أو نوع معماري، أو لغة مكانية، أو شكل ينطوي على الإطار الحضري. لكن للأسف العمارة الحالية موجودة على أساس فردي، غير مركزة على اتصال المجتمع ككل (8).

يشير التصميم القائم على الوقت والمكان، إلى الهياكل أو المساحات التي يلتقي بها الثقافة، والبيئة، والتاريخ ليخلق معنى للمكان. "الإحساس بالمكان" هو مفتاح تطور مشاعر الأمن والانتماء. وفقا لكيلرت (Kellert)، "فإن التعلق بالمكان أو الفراغ يزرع بالتجارب، العواطف، والتعرف المرتبط بالأحداث أو الوقت الذي يقضى فيه. وهذا لا يشمل فقط المفهوم التقليدي للتفاعل مع الطبيعة في الهواء الطلق من خلال المتنزهات والحدائق والمساحات المفتوحة حيث يسعى الأفراد وعائلاتهم إلى وقت للراحة والاستجمام، ولكن أيضًا الإحترام التاريخي للأماكن، حيث طورت المجتمعات "إحساسًا بالمكان" عبر الروابط الروحية والمادية مع الأراضي التي شاركوها مع أسلافهم" (10).

لذا تعزز التصاميم ذات الصلة ثقافياً الإرتباط بالمكان والإحساس بأن البيئة ذات هوية إنسانية مميزة. وبالمثل يمكن أن يدعم التواصل البيئي بالمكان إرتباطًا عاطفيًا ببيئة معينة، لا سيما الوعي بالمناظر الطبيعية المحلية والنباتات والحيوانات

الأصلية والظروف المناخية المميزة. وغالبًا ما تحفّز الروابط الثقافية والبيئية في المكان الناس على الحفاظ على البيئات المبنية الطبيعية والبشرية والحفاظ عليها (13).

إن التصميم العامي ينعكس في المباني والفراغات الداخلية التي تؤكد على الطبيعة والتاريخ الثقافي والإيكولوجي للمناطق التي تحدث فيه بشكل أساسي. حيث يستحضر التصميم العامي الناجح ما سماه مهندس التخطيط العمراني فريدريك لو أولمستيد (Fredrick Law Olmsted) "روح" المكان: "إن الناس يريدون تجربة الرضا الحسية والعاطفية والروحية التي لا يمكن الحصول عليها إلا من تفاعل حميم، وهوية مع الأماكن التي يعيشون فيها. هذا التفاعل وتحديد الهوية تولد روح المكان. لقد حدّد جون برينكرهوف جاكسون (John Brinckerhoff Jackson) أيضًا ميزات مختلفة لإحساس أو روح المكان بما في ذلك: الوعي المتزايد بالبيئات المألوفة، وإحساس قوي بالزمالة القائمة على الخبرة المشتركة، والعادات والطقوس المتكررة (7).

وتتضمن العلاقات القائمة على المكان السمات التي تربط بين الثقافة والبيئة بطريقة تجعل الأفراد يطورون روابط عاطفية وعلاقات مع المساحات المحيطة بهم. إن الروابط التي يطورها الناس مع الأماكن تظهر تكيفًا تطوريًا آخر وهو: الحاجة إلى إنشاء السيطرة والملكية للمساحات. من الناحية التاريخية، فإن السيطرة على مكان يسمح للإنسان بالوفاء بالإحتياجات الأساسية وهي: الحفاظ على الموارد، والحصول على مكان آمن للراحة والاسترخاء.

يعمل التصميم العامي على مساعدة المستخدم على الشعور بالإرتباط بالثقافة الأوسع للبيئة المحيطة ويخلق ارتباطًا عاطفيًا بالفراغ الذي ينتج عنه الإهتمام والإستثمار في تلك المساحة الطبيعية. ويتم تطبيق الإحساس بالملكية والإنتماء للمكان في الفراغ الداخلي عن طريق إستخدام عناصر من البيئة في صورة خامات أو ألوان او تشكيلات من أنماط طبيعية في المسطحات الداخلية أو حتى تخصيص مساحة، سواء في المنزل أو في مكان العمل تتضمن نباتات من البيئة المحيطة، أو من خلال إستخدام العناصر التي لها أهمية شخصية، مثل الصور العائلية، والتذكارات (10).

وهكذا يحدث التصميم العامي الفعال عندما تتميز المباني والفراغات الداخلية بما يلي:

- اتصال مريح وجذاب للتراث الثقافي والتاريخي للمكان.
- حساسية شديدة وفهم كيفية اتصال المباني والفراغات الداخلية مع إعداداتها الطبيعية للبيئة.
- اندماج فعال للثقافة والبيئة في السياق البيولوجي الجغرافي يعكس روح المكان.
- القدرة على تجنب نزعات تقويض وتقليل منزلة الثقافة والبيئة المميزين للمنطقة أو ما يسمى بظاهرة "الامكان" (placelessness) في التصميم (12).

حيث وصفها جاكسون(Jackson) بأنه "إضعاف الخبرات والهويات المميزة للأماكن"، فعندما تفتقر المباني إلى الإتصال بقيم الأماكن التي تحدث فيها، نادراً ما يمارس الناس المسؤولية أو الحفاظ على هذه الهياكل أو حمايتها أو إستعادتها على المدى الطويل.. وكما لاحظ ويندل بيري (Wendell Berry): "بدون معرفة معقدة بمكان، وبدون الإخلاص لمكان المرء الذي تعتمد عليه هذه المعرفة، فمن الحتمي أن يتم استخدام المكان بلا مبالاة، وأن يتم تدميره في نهاية المطاف". تصميمات تفتقر الى تناسق فعال مع سياقها الثقافي والتاريخي والبيئي تميل إلى أن تكون عابرة، سريعة الزوال، وفي نهاية المطاف غير مستدامة. كما اقترح مارك ساجوف (Mark Sagoff): "إن مفهوم المكان ... هو فكرة عن البيئة المحيطة تنبع من الانسجام والشراكة والحميمية. إن الكثير مما نأسف له حول التخريب البشري للطبيعة - والخوف من تدمير البيئات [الطبيعية والبشرية] - له علاقة بفقدان الأمان، وأكثر ما يقلقنا هو احتمال أن نصبح غرباء في أرضنا (10).

شكل (11)
أعلى: منازل من شمال النوبة شيدت من الخامات الموجود بالطبيعة (الطين) وبألوان وزخارف زاهية كتعويض مناسب لطبيعة البيئة القاسية في هذا الأقليم
أسفل: منازل من جنوب النوبة ويتضح توائم استخدام الخامات والألوان المناسبة لطبيعة هذا الأقليم السخية بالأشجار. وبالتالي نجد انه لكل إقليم سماته الخاصة في التصميم ذلك تبعاً لبيئة السكان وطبيعة المكان، وفي هذه الحالة تعكس منازل النوبة وشاغليها شعورًا بالارتباط بالبيئة المحلية

3-3 مبادئ التصميم العامي:

من خلال دراسة العمارة العامية وفلسفة التصميم العامي، يمكن أن تكون المبادئ العامية التالية مصادراً للإلهام والتوجيه لحل مشاكل الإستدامة في الفراغات الداخلية، فضلاً عن تعميق الإتصال بالبيئة وإحترام خصوصية المجتمعات وتاريخها.

3-3-1 المرونة والتشاركية

تصميم مرن ومقبول ويلبي الإحتياجات هو سمة مهمة من سمات أسلوب التصميم العامي. فالفراغات الداخلية التي توفر حرية الإختيار والتبني بسهولة للإحتياجات المتغيرة ورغبات الأسر مع مرور الوقت هي أيضاً مستدامة. يجب على المهندسين المعماريين والمصممين قبول حقيقة أن الحالة الإقتصادية والإجتماعية للأفراد تتغير مع مرور الوقت ويجب أن يوفر الفراغ الداخلي مساحات مرنة ومتعددة الإستخدام كوسيلة لتوفير الفرص للإختيار والتخصيص. كما يقول ريبينك Rabeneck:" يجب علينا أن نقبل حقيقة أن الناس لديهم الحق في مجالهم الخاص الذي يعيشون فيه كما يشاءون في الأمن وأن أولويات الإسكان يجب أن تعكس التوقعات المتزايدة لشاغليها من حيث تصاميم أفضل للإختيار، وممتلكات الإسكان مرنة قابلة للتكيف" (11).

فالمباني والفراغات الداخلية التي يمكن إستخدامها في العديد من المهام المختلفة والتي يسهل تكيفها لتحويلها إلى العديد من الإستخدامات الأخرى خلال فترة حياتها، تضع ضغطًا أقل على الموارد البيئية وموارد الطاقة على النقيض من بناء هياكل جديدة وهدم المباني القديمة.

عادةً ما يتم تصميم ممارسات البناء الحالية للإستخدامات الفردية والمتخصصة التي تحظر مفهوم التصميم المرن وإختيار التغيير. وهذا يتناقض بشكل صارخ مع ممارسات البناء العامية التي تخدم الإحتياجات المتغيرة ليس فقط للمستخدمين الحاليين ولكن أيضًا لتلبية إحتياجات المستخدمين متعددي الأجيال (4).

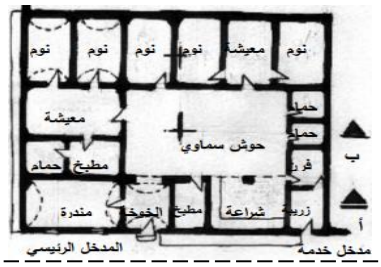

شكل (12)
نموذج من مساكن قرية أبو الريش بأسوان تتكون من دور واحد ويعتبر الفناء في هذه المساكن مكان للامتداد المستقبلي للاسرة، حيث يستغل في إنشاء وحدات سكنية صغيرة عبارة عن غرفة أو غرفتين نوم ومضيفة وصالة معيشة. يوضح هذا النموذج مبدأ المرونة وتلبية الفراغ الداخلي احتياجات شاغليه المتغيرة.

3-3-2 الإحساس بالمكان

إن العمارة العامية التقليدية تصور المبنى ككيان معماري حي في حد ذاته، تم تشكيله وفقاً للإحتياجات المتميزة للمتطلبات الإجتماعية والثقافية. يجب أن تكون التصاميم تتطابق تمامًا مع الظروف الثقافية والبيئية للموقع الموجود به المبنى والفراغ الداخلي. حيث يخلق النظام المدمج لهذه الفراغات المتكاملة إحساسًا بالمكان الذي يحترم الشخصية المحلية ويوفر الراحة والبهجة (9).

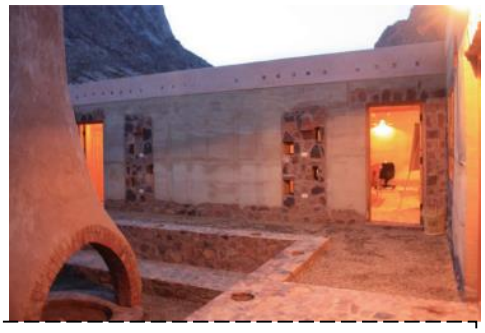

شكل (13)
مركز سانت كاثرين للحرف في سيناء هو نموذج معاصر للبناء العامي القائم على مبدأ الاحساس بالمكان يظهر في التصميم المتوافق مع موقع البناء كذلك المواد المحلية المستخدمة في التشطيب بألوانها الطبيعية أبرزت الاحساس بالمكان واحترام المتطلبات الاجتماعية والثقافية للمستخدم.

3-3-3 الإكتفاء الذاتي

ممارسات التصميم الجديدة يجب أن تأخذ في الإعتبار إستخدام التكنولوجيات والمواد المحلية. المواد المحلية أقل تكلفة ومتوفرة بسهولة، مقارنة بالمنتجات الصناعية المستوردة. المواد المحلية وتقنيات التصنيع البسيطة هي مناسبة لمجموعة واسعة من الناس من أجل الحفاظ على إحتياجاتهم الأساسية من المنتجات بأسعار معقولة.

كذلك الحفاظ على المنتجات القديمة وتكييفها مع الإستخدامات الجديدة، أي ممارسة مبدأ إعادة الاستخدام وإعادة التدوير للمواد والمنتجات. فمن خلال إعادة التدوير، فإنه لا يعطي حياة جديدة للمنتجات القديمة فحسب، بل إنه يقلل الطاقة المستخدمة لإزالة المواد الجديدة من البيئة. الخامات المحلية لا تتطلب الكثير من النقل وفي بعض الحالات، تقل مدخلات الطاقة لتصنيعها، كما يتم تكييفها بسهولة مع البيئة (11).

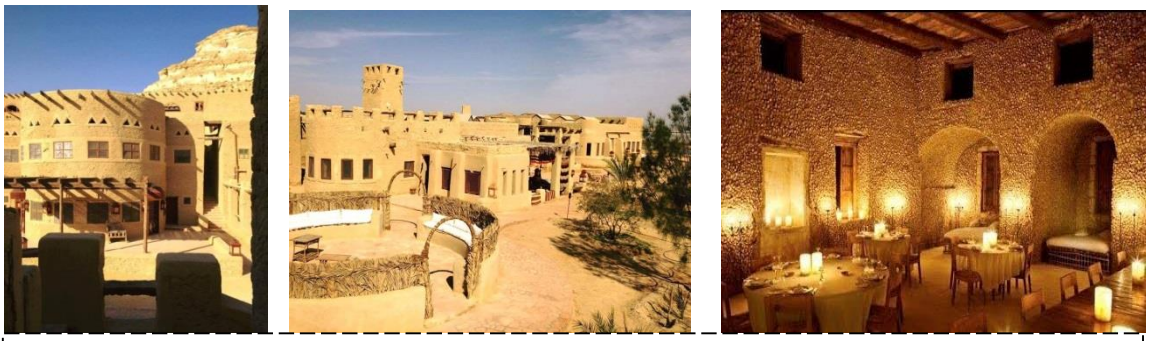

شكل (14) ، نموذج لمنتجع سياحي في سيوة حيث البناء بالحجر المتوافر في الواحة والذي يسمي الكرشيف والذى تكون نتيجة وتصبح أحجارا يتم بها بناء منازل اهل سيوة دون أي كيماويات أو مواد طلاء ، لطبقات من الملح تتراكم والإضاءة تعتمد على الشمس طوال النهار اما في الليل فتكون المشاعل النارية في خارج الغرف والشموع بداخلها ، ينخفض موقع القرية عن سطح البحر بنحو ١٨ مترا مما يخفض درجة الحرارة نهارا ونوعية الحجارة تعمل على اكتساب الحرارة والتدفئة ليلا. يعتبر هذا تطبيقيا واضحا لمبدأ الإكتفاء الذاتي واستخدام التكنولوجيا البسيطة وأقل تكلفة للمواد المحلية وسهولة تدويرها.

4-3-3 التكافل مع البيئة

يطمح التصميم العامي إلى علاقة تكافلية بين الإنسان والبيئة المحيطة. إن إدراك العوامل المناخية الدقيقة والخصائص الطبوغرافية للموقع الذي يقع فيه المبنى يمكن أن يعزز الكثير من أنماط الطاقة الطبيعية والحد من إستهلاك الطاقة. الإستفادة من توجيه المبنى إلى التعرض للطاقة الشمسية، والرياح، وتأثير الغطاء النباتي في المعالجات الداخلية للفراغ يخلق مناخ محلي خاص. فالخامات المستخدمة، والملمس السطحي لها، وألوان الأسطح المكونة للفراغ الداخلي تحد من استهلاك الطاقة (4).

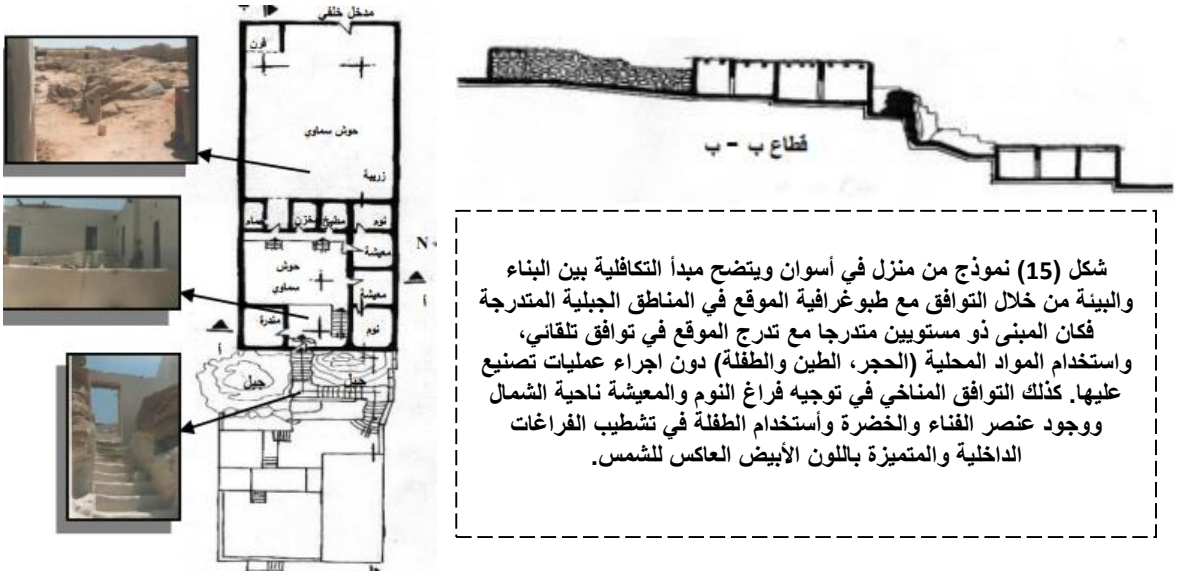

شكل (15) نموذج من منزل في أسوان ويتضح مبدأ التكافلية بين البناء والبيئة من خلال التوافق مع طبوغرافية الموقع في المناطق الجبلية المتدرجة فكان المبنى ذو مستويين متدرجا مع تدرج الموقع في توافق تلقائي، واستخدام المواد المحلية (الحجر، الطين والطفلة) دون اجراء عمليات تصنيع عليها. كذلك التوافق المناخي في توجيه فراغ النوم والمعيشة ناحية الشمال ووجود عنصر الفناء والخضرة وأستخدام الطفلة في تشطيب الفراغات الداخلية والمتميزة باللون الأبيض العاكس للشمس.

4-النتائج:

1- إن تحقيق الإستدامة الشاملة لا يتم الا من خلال الوعي الكامل بطبيعة الانسان والتأثير المتبادل بينه وبين البيئة التي يعيش فيها.

2- العلاقة القوية بين العمارة العامية ومفهوم الإستدامة الشامل حيث أن العمارة العامية قدمت أمثلة مفيدة للحلول المستدامة لمشاكل البيئة المبنية.

1- استطاعت العمارة العامية أن تعكس لنا نموذجاً ناجحاً للتعامل مع البيئة المحيطة من حيث استخدام المواد، والتقنيات المحلية التي توائم المناخ المنشأة فيه وكذلك أسلوب ونمط حياة المجتمع.

3-التصميم العامي هو تصميم قائم على الإحتياجات والمواد والتقاليد المحلية للشعوب وهذا ما يعطي المكان شخصيته وهويته الثقافية، وبالتالي يمكن أن يكون درسًا قيّمًا للتصميم الحديث.

4-الإحساس بالمكان هو مبدأ هام من مبادئ التصميم االعامي، فالتصميم الناجح يبدأ بالمعرفة الوثيقة بالمكان ويتجاوب مع كل من الظروف المحلية واحتياجات المستخدمين الاجتماعية والثقافية. فإذا كنا حساسين للفروق الدقيقة في المكان، يمكننا أن نضمن استمرارية الإستدامة.

5-سيظل تراثنا العربي منجماً زاخراً للبحث ينهل منه طالب العلم في مختلف العلوم والفنون، وإرثاً حضارياً يعتز به.

5- التوصيات:

1-تكاتف المختصين من أعلام العمارة والمصممين والمؤسسات المهتمة بالتراث لعمل مجلس متخصص يقرر بقوه القانون ما هو صالح ومناسب للبيئة المحلية من حيث طرق التصميم والتنفيذ والمواد المستخدمة في البناء والتشطيب.

2-مراجعة كافة المناهج التي تدرس لطلبة الكليات التى تختص بمجال التصميم الداخلي وتنقيتها والتأكيد على وجود ثوابت معينة تؤكد وتأصل مفهوم البعد التاريخي والإنساني للمجتمعات العربية لدي الطلاب.

3-إعادة النظر فيما يخص قضايا الإستدامة لضمان تحقيقها بشكل عام وفي التصميم الداخلي بشكل خاص.

6-مراجع البحث:

أولاً- المراجع العربية:

1-السيد، وليد. "التراث "المفكّر فيه"- قراءات في فلسفة التراث في فكر حسن فتحي". بحث منشور، لونارد، العدد 1، 2010

El Sayd, Walid "El trath" "El mofkr feh" – kraat Fe flsfa el trath Fe fekr Hassan fathy "bahth manshor, lonard, el 3dadd, 1, 2010

2-الشيخ، أيمن. "عمارتنا المعاصرة والعمارة العامية". مقال منشور، التراث العمراني عمارة وعمران. www.aimanalsheikh.sa/، (تاريخ الزيارة 25 يوليو 2018)

El sheik Ayman. "3omartna al mo3asra wa al 3omara el 3amah". Mkal mn4or el trath al 3omrany 3omara WA 3omran. www.aimanalsheikh.sa/ , (tare5 el zyarah 25 yolyo 2018)

3-العلوان، هدى. " تناغم العمارة مع الطبيعة: التصميم المستدام نحو صحة ورفاه الإنسان". بحث منشور، مجلة الإمارات للبحوث الهندسية، ال عدد22، 2017: 37-55

El 3lwan, Hoda. "Tna8om el 3omarah ma3 el tbe3a: el tsmem el mostdam n7w se7a w rfah el ensan". Ba7th mn4or, mdala el emirate lel b7oth el hndsya, el 3dad 22, 2017, 37_55

4-عبد اللطيف، محمود. "التوافق البيئي في العمارة التلقائية بمساكن قرية أبو الريش بأسوان". بحث الكتروني منشور، المؤتمر العالمي الخامس للهندسة المعمارية: العمران والبيئة، كلية الهندسة، جامعة أسيوط، مصر2003

Abdel latef, Mohamed. "El twafok el be2y fe el 3omara el tlka2ya bmsakn karet abo el re5 b Aswan ". Ba7th electrony man5or, el mo2tmar el 3alamy el 5ames lel hndsa el m3marya: el 3omran WA el be2a, kliat el hndsa, gam3at Asyout, masr2003

5-هلال، ميسون. " الاستدامة في العمارة بحث في دور استراتيجيات التصميم المستدام في تقليل التأثيرات على البيئة العمرانية". بحث منشور، مجلة جامعة الأزهر الهندسية، ال عدد9، 2014

Hlal, myson. "el estdama fe el 3omara ba7th fed or estratejeat el tsmem el mostdam fe tklel el ta24erat 3la el be2a el 3omranya". Ba74 mn4or, mgalat gm3et el azhar el hndsya, el 3dadd 9, 2014

6-ياسين، عادل. "فن العمارة العامية". مقال الكتروني، الوطن.www.elwatannews.com (تاريخ الزيارة 25 يوليو 2018)

Yaseen, Adel. "FN el 3omara el 3almya". Mkal electrony, el wtan www.elwatannews.com/news/details/458642 (tare5 el zyara25 yolyo 2018)

ثانياً- المراجع الأجنبية:

7- Amanda C. Cleveland. "Symbiosis between Biophilic design and Restorative healing environment: The impact of overall well-being of urban dwellers. Florida" State University Libraries 2014-https://diginole.lib.fsu.edu/islandora/object/fsu%3A185368. (Accessed on 22 July 2017).

8- Edwardes, Sara. "Vernacular Architecture and the 21st Century".ArchDaily. www.archdaily.com/155224/vernacular-architecture-and-the-21st-century. (Accessed on 28 July 2018).

9- Dabaieh, Marwa. "Energy efficient design strategies for contemporary vernacular Buildings in Egypt". Vernacular Heritage and Earthen Architecture: Contributions for Sustainable Development Correia, Carlos & Rocha (Eds), 2014:599-604

10- Green, Judith." Back to Nature for Good: Using Biophilic Design and AttentionRestoration Theory to Improve WellAbeing and Focus in the Workplace". Master Thesis. Faculty of the Graduates School, the University of Minnesota, 2012.

11-Kazimee, B.A. " Learning from vernacular architecture: sustainability and cultural conformity, WIT Transactions on Ecology and the Environment, Vol 113, 2008. www.witpress.com, (accessed on 20 June 2018).

12-Kellert, S. R." Beyond LEED: From Low Environmental Impact to Restorative Environmental Design". Yale University School of Forestry and Environmental Studies New Haven, USA 2004.

13-Kellert, S., Calabrese, E."The Practice of Biophilic Design".2015 www.biophilic-design.com

14-Rapoport, Amos."Vernacular architecture and the cultural determinants of form". Essays on the Social Development of the Built Environment, Buildings and Society, 1984 .http://kenanaonline.com/users/FawziAgael/posts/761426 1,(accessed on 25 July 2018).

15-Salgın, Burcu. "Sustainable Features of Vernacular Architecture: Housing of Eastern Black Sea Region as a Case Study".Arts 2017, www.mdpi.com/journal/arts. (Accessed on 12 July 2018).

ثالثاً: شبكة الانترنت

16- https://www.hisour.com/ar/vernacular-architecture-29640 (accessed on 23 July 2018)
www.marefa.org (accessed on 25 July 2018)17-
https://ar.wikipedia.org (accessed on 7 May 2018)18-